مذهب أهل الحديث(3)

فقد ثبت عن عمر بطرق كثيرة أنه قال :[إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ]،أصحاب السنَّن اصطلاح موجود على لسان عمر؛والمراد بأصحاب السنَّن الذين علموا السنَّة والقرآن، فما كان القرآن ينفك عن السنَّة ولا السنَّة تنفك عن القرآن.

الله يقول: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} فذكر الله في الآية تنزيلين:

والتنزيل الأول: هو القرآن، والتنزيل الثاني: هو السنَّة.

وكان هشام بن حسان يقول كما عند ابن عساكر في تاريخ دمشق :[أن جبريل ينزل بالسنَّة كما ينزل بالقرآن]

والنَّبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في الحديث المعروف: ((ألا وإني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه)).

وثبت عند الخطيب البغدادي في "شرف أصحاب الحديث" بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، والحديث صحيح وله طرق كثيرة، وهو موجود في السلسلة الصحيحة برقم مئتين وثمَّانين يقول أبو سعيد الخدري -رضي الله تعالى عنه- حين كان يرى الشباب مقبلين على طلب العلم قَالَ : مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْصَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوَسَّعَ لَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ ، وَأَنْ يُفَهَّمَكُمُ الْحَدِيثُ فَإِنَّكُمْ خَلَوْفُنَا وَأَهْلُ الْحَدِيثِ بَعْدَنَا " فإذاً أهل الحديث اصطلاح كان معروفاً في عهد الصحابة.

وكذلك كان معروفاً في عهد التابعين، وكان لهم مذهب يسمّى بمذهب أهل الحديث وهو الأصل.

فكما أنَّ الحديث شجرة بذرتها في المدينة، ونمت وترعرعت في البصرة والكوفة، وأينعت وأتت بثمَّارها فيما وراء النهر؛ فإنَّ الفقه كذلك؛ بدأ في المدينة بالوحي؛ والوحي كافٍ وشافٍ ولكن لا غنية لنا عن فهم من تنزّل عليه الوحي؛ فهم الأصحاب والتابعين؛ ولذا زكاهم رسول الله رب العالمين؛ زكاهم لكون أقوالهم معتبرة عندنا، فبدأ الفقه في المدينة ثمَّ لما حوَّل عليٌّ الخلافة إلى الكوفة نبتت مدرسة أهل الكوفة.